تفريغات

الدورة الشرعية الثانية للملك سليمان العلوي

تحت رعاية دار الحديث بالناضور – المملكة المغربية

شرح

ثلاثة الأصول

تأليف شيخ الإسلام

محمد بن عبد الوهاب

لفضيلة الشيخ الدكتور

محمد بن هادي المدخلي

قام بها

فريق التفريغات بموقع ميراث الأنبياء

www.miraath.net

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَسرُّ مَوْقِعَ مِيرَاثِ الأنبيَاءِ أن يُقَدِّمَ لَكُم تَسْجيلًا لدرسٍ في شرح

الأصول الثلاثة
للإمام محمد بن عبد الوهاب

– رحمه اللّه تعالى –

ألقاه

فضيلة الشيخ الدكتور

محمد بن هادي المدخلي

– حَفِظَه اللّهُ تَعَالَى –

ضمن فعاليات دورة الملك سليمان العلوي الشرعية الثانية التى أقيمت بمدينة الناظور بالمملكة المغربية فى شهر جمادى الأولى عام خمسة وثلاثين وأربعمائة وألف هجرية

نَسألُ اللّه سُبحانَهُ وَتعَالَى أنْ يَنْفعَ بهَا الجَمِيع.

الدرس الثاني

بسم الله، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المرسول رحمة للعالمين -وصلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين-، ثم أما بعد: اللهم اغفر لي ولشيخنا وللسامعين

قال المؤلف -رحمه الله تعالى-:

المتن:

اعلمْ رحِمكَ اللهُ: أنَّهُ يجبُ على كلِّ مسلم ومسلمة تَعَلُّمُ هذه الثلاث مسائل والعملُ بهنَّ:

الأولى: أنَّ اللهَ خَلَقنا ورزَقَنا ولم يتركْنا هملًا؛ بل أرسلَ إلينا رسولًا فمنْ أطاعَهُ دخلَ الجنَّةَ ومنْ عصاهُ دخلَ النّارَ. والدليلُ قولُهُ- تعالى:- ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ رَسُولٗا شَٰهِدًا عَلَيۡكُمۡ كَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ رَسُولٗا ١٥ فَعَصَىٰ فِرۡعَوۡنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذۡنَٰهُ أَخۡذٗا وَبِيلٗا﴾ [المزمل:15-16]

الثانية: أنَّ اللهَ لا يرضى أن يُشْرك معهُ أحدٌ في عبادتِه لا مَلَكٌ مُقَرَّب ولا نبيٌّ مُرْسَل، والدليلُ قولُهُ- تعالى-: ﴿وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا﴾ [الجن: ١٨]

الثالثة: أنَّ مَنْ أطاعَ الرسولَ ووحَّدَ اللهَ لا يجوزُ لهُ مُوالاةُ مَنْ حادَّ اللهَ ورسولَهُ ولوكان أقْرَبَ قريبٍ. والدليلُ قوله- تعالى-: ﴿لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ وَيُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [المجادلة:22]

اعلَمْ -أرشدَكَ اللهُ لطاعتِه- أنَّ الحنيفيةَ: مِلَّةَ إبراهيمَ، أنْ تعبدَ اللهَ وحدَهُ مخلصًا له الدِّين، وبذلك أمَرَ اللهُ جميعَ الناس وخلَقهم لها، كما قال- تعالى:- ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦﴾ [الذاريات:56]

ومعنى (يَعْبُدُونِ) يوحِّدون، وأعظمُ ما أَمرَ اللهُ به التوحيدَ وهو: إفرادُ اللهِ بالعبادة وأعظمُ ما نهى عنه الشركُ؛ وهو دعوةُ غيرِهِ معهُ، والدليل قوله - تعالى -: ﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ ﴾ [النساء:36]،

فإذا قيل لك ما الأصول الثلاثة التي يجب على الإنسان معرفتها؟

الشرح:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه واتباعه بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فقد سمعنا ما قرأه علينا أخونا من هذه الكلمات الطيبات النافعة التي يجب على المسلم أن يتأملها حق التأمل ويتدبّر فيها حق التدبّر، ويعلم ما احتوت عليه من العلم العظيم والفقه الجزيل، حيث قال -رحمه الله تعالى-: اعلم، يعني أيها المُخاطب والسامع والقارئ المطلع على هذا المكتوب، اعلم- رحمك الله- أنه يجب على كل مسلم ومسلمة تعلم هذه الثلاث مسائل، هذا وجوب عيني يجب على كل مسلم وعلى كل مسلمة أن يعلم هذه المسائل، فهذا من الواجب العيني الذي يجب على الأعيان كلِّ فردٍ من أفراد المسلمين يجب أن يعلم هذه الثلاث، ما هي؟

الأولى الحكمة في خلق الخلق، الحكمة التي خلق الله - سبحانه وتعالى- لأجلها الخلق، فإنه - سبحانه وتعالى- منزهٌ عن العبث، وكل عاقل من المخلوقين يُنزه نفسه عن العبث عن أن يعمل عملًا لا فائدة وراءه ولا مقصد من ورائه، ولا مغزى له فيه، فإذا كان هذا في العقلاء من المخلوقين، فالخالق من باب أولى، ﴿ أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا وَأَنَّكُمۡ إِلَيۡنَا لَا تُرۡجَعُونَ ١١٥ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۖ ﴾ [المؤمنون: ١١٥ - ١١٦]، تعالى وتقدس وتبارك وتنزّه عن العبث -سبحانه وتعالى -

فما خلقنا عبثًا ولم يتركنا سُدى، وإنما خلقنا -سبحانه وتعالى- وتفضّل علينا بالرزق الذي تقوم به حياتنا لحكمةٍ بالغةٍ قضاها، يستوجب الحمد على اقتضائها،

اعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلاَ ۞۞۞ لَمْ يَتْرُكِ الْخَلْقَ سُدًى وَهَمَلاَ.
بَلْ خَلَقَ الْخَلْقَ لِيَعْبُدُوهُ ۞۞۞ وَبِالإِلٰهِيَّةِ يُفْرِدُوهُ
أَخْرَجَ فِيمَا قَدْ مَضَى مِنْ ظَهْرِ ۞۞۞ آدَمَ ذُرِّيَّتَهُ كَالذَّرِّ
وَأَخَذَ الْعَهْدَ عَلَيْهِمْ أَنَّهُ ۞۞۞ لاَ رَبَّ مَعْبُودٌ بِحَقٍّ غَيْرَهُ

-سبحانه وتعالى- فهو لم يخلق الخلق هملا وعبثا، وإنما خلقهم لحكمة عظيمة ومهمة عظيمة، تلك المهمة هي التي لأجلها أنزل الكتب، أرسل الرسل وأنزل عليهم الكتب-عليهم الصلاة والسلام-، ما هي هذه الحكمة؟

هي عبادته وحده لا شريك له -سبحانه وتعالى-وطاعة أنبيائه ورسله الذين أرسلهم -سبحانه وتعالى- إلينا، فبيّنوا لنا حق الله علينا وما يجب عليه علينا من إخلاص التوحيد له-جل وعز- وإفراده بذلك، ثم الاستقامة على أمر الله -سبحانه وتعالى- بعبادته وحده لا شريك له، وصرف جميع أنواع العبادة التي جاءنا بيانها في القرآن، وفي سنة النبي -صلى الله عليه وسلم-، فلذلك أرسل الرسل وأنزل الكتب ليُبينوا لنا الغاية من الخلق، الحكمة من وجود هذا الخلق، فمن أطاعهم دخل الجنة ومن عصاهم دخل النار، هؤلاء الرسل أرسلهم الله إلينا لإقامة حجته علينا، ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ ﴾ النساء: ١٦٥،

﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٨ ﴾ الفتح: ٨ شاهدًا علينا؛ شاهدًا لمن أطاع وعلى من عصى، وهذا ليس ببدعٍ فقد كانت الرسل من قبل محمدٍ- صلى الله عليه وسلم- هكذا،

قال -جل وعلا-: ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ رَسُولٗا شَٰهِدًا عَلَيۡكُمۡ ﴾ المزمل: ١٥ أيها المسلمون اسمعوا هذا الخطاب واعقلوه ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ ﴾ المزمل: ١٥ هذه الأمة ﴿رَسُولٗا شَٰهِدًا عَلَيۡكُمۡ ﴾ المزمل: ١٥ بها تجيبون به ﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ رَسُولٗا ﴾ المزمل: ١٥ يعني كما حصل في الأمم السابقة إرسال الرسل إليهم حتى تنقطع حجتهم فهكذا ﴿أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ رَسُولٗا شَٰهِدًا عَلَيۡكُمۡ ﴾ المزمل: ١٥ حتى تنقطع الحجة.

﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ ﴾ النحل: ٣٦ هذا دليل يدل على أن الرسل إلى جميع الأمم، أُرسلوا بهذا الأصل العظيم ألا وهو إفراد الله بالعبادة وترك عبادة ما سواه، ﴿أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ ﴾ النحل: ٣٦ والطاغوت كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مُطاع هذا هو الطاغوت،

فأمر الله- جل وعز- بعبادته وحده وطاعته وحد- سبحانه وتعالى- الطاعة المطلقة واتباع شرعه المطهر وحده الاتباع المطلق، فلا يجوز أن يُشرك معه في هذا أحد -سبحانه وتعالى-؛ لأنه كما قلنا بالأمس هو الخالق الرازق فوجب أن يكون الممتثل قوله وأمره ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ ﴾ الأعراف: ٥٤ ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ١٤ ﴾ المؤمنون: ١٤ -سبحانه وتعالى-، ما دام قد انفرد بالخلق فيجب أن يُفرد بالطاعة واتباع أمره فهنا يقول ربنا -جل وعلا- ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ ﴾ المزمل: ١٥

معاشر أمة محمد ﴿رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيۡكُمۡ﴾ المزمل: ١٥ بما تقولون وما تعملون ﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ رَسُولٗا ١٥﴾ المزمل: ١٥

كما أرسل إلى فرعون موسى وهارون أرسلهما إليه ليبيِّنا له ما أوجب الله -جل وعلا- عليه من الإيمان بالله -سبحانه وتعالى- واتباع موسى -عليه الصلاة والسلام- ولكن عصى فرعون الرسول فكانت النتيجة ﴿فَأَخَذۡنَٰهُ أَخۡذٗا وَبِيلٗا ١٦﴾ المزمل: ١٦.

فاحذروا يا أمة محمد من أن تكون عاقبة أمركم كعاقبة من سبقكم كعاقبة فرعون، ﴿قَالَ فِرۡعَوۡنُ وَمَا رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٣﴾ الشعراء: ٢٣ منكرًا ومستكبرًا، لكن ربنا -جل وعلا- قد بين لنا أنه كاذب وأنه في قرارة نفسه يعلم ذلك قال- جل وعلا-:﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗاۚ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ١٤﴾ النمل: ١٤.

ففرعون يعلم مع كذبه وافترائه بقوله: ﴿مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي﴾ القصص: ٣٨فقد بلغ درجة من الكبر لم يبلغها أحد وقد أذله الله وأهانه أعظم الإذلال والإهانة جزاءً لكبره وافترائه ومحاربته لله ولرسوله، فلما تبع موسى أطبق الله -جل وعلا -عليه البحر ﴿وَٱتۡرُكِ ٱلۡبَحۡرَ رَهۡوًاۖ إِنَّهُمۡ جُندٞ مُّغۡرَقُونَ ٢٤﴾ الدخان: ٢٤،﴿وَفِي مُوسَىٰٓ إِذۡ أَرۡسَلۡنَٰهُ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ٣٨ فَتَوَلَّىٰ بِرُكۡنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٞ ٣٩ فَأَخَذۡنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٞ ٤٠﴾ الذاريات: ٣٨ – ٤٠، قال -جل وعلا- ﴿فَمَا بَكَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّمَآءُ﴾ الدخان: ٢٩ فهؤلاء وأمثالهم يستحقون حتى في حال الإيمان الذي قاله بلسانه ولم يقر في قلبه كان في غاية الكبر والأشر ﴿قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٩٠

﴿ يونس: ٩٠، فبكَّته الله بقوله: ﴿ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ يونس: ٩١ – ٩٢.

هذا هو الأخذ الوبيل الذي أخذ الله -سبحانه وتعالى- به فرعون وقت الهلاك وأما في الدنيا فقد أراهم الله -جل وعلا- صنوفًا من الشدة كما في قوله: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾ الأعراف: ١٣٠ الآية، فعاقبه الله -سبحانه وتعالى- هذا العقاب العظيم لتكذيبه لمن أرسله الله إليه وهو موسى -عليه الصلاة والسلام- ومعه أخاه هارون الذي شد به عضده -صلوات الله وسلامه عليهما-،

والمعنى فاحذروا يا أمة محمد من أن تفعلوا كما فعل من قبلكم كفرعون فتكون عاقبتكم كعاقبته، هذه الآيات التي أخبر الله -سبحانه وتعالى- فيها عن حال الأمم هي أخبارٌ إما تفيد الأمر وإما تفيد النهي فإن الخبر قد يأتي مفيدًا للأمر وقد يأتي مفيدًا للنهي كما هو معروف عند الأصوليين والبلاغيين، فهذا الخبر إخبار يفيد النهي أي لا تسلكوا طريقة أولئك فيصيبكم ما أصابهم،

واعلموا أن الله خلقكم لحكمة بالغة ألا وهي عبادته وحده -سبحانه وتعالى- ولذلك أرسل الرسل وأنزل الكتب، أرسل الرسل ليبينوا وأنزل عليهم الكتب لتبقى بين الناس يقرءونها ويعملون بما فيها فتقوم الحجة وتتضح المحجة وينقطع العتب ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ ﴾ النساء: ١٦٥ فهذه هي الحكمة التي خلق الله الخلق لأجلها وهي

المُشار إليها في سورة الذاريات بقوله: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ﴿٥٩﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ الذاريات: ٥٦ - ٦٠

سيأيتيهم العذاب كما جاء من كان قبلهم، ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ الذاريات: ٦٠ هذهِ هي الحكمة التي من أجلها خلق الله الخلق وأرسل الرسل وأنزل الكتب عليهم، خلق الخلق لأجل عبادتهِ وطاعتهِ سبحانه، وأرسل إليهم الرسل ليدعونهم إلى ذلك، وأنزل عليهم الكتب لتبين لهم ذلك ويفسرها الرسل – صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين – من أولهم نوح إلى آخرهم محمد – صلى الله عليهِ وسلم –.

فيجب على كل مسلم ومسلمة أن يعرف الحكمة هذه، فإذا عرف هذهِ الحكمة التي خلق لأجلها، ورزق على هذهِ الحياة الدنيا وأبقي عليه فيها لأجلها فإنه حينئذٍ يقوم بِها، أما إذا لم يعلمها عاش في هذهِ الدنيا سبهللا، لا يدري ما هو الواجب عليهِ ويكون حينئذٍ مفرطًا ولا يعذر، وهو بين ظهران المسلمين لا يعذر، لأنه أعرض عن هذا الدين وعن تعلمه فإن الإعراض عن دين الله لا يرفع بهِ المسلم رأسا ولا يتعلمه هذا من نواقض الإسلام يقع في الكفر وهو لا يعلم وهو بين ظهراني إخوانهِ المسلمين، يقول جاهل لا هذا غير معلوم.

الرسول قد أرسل إليك والكتاب قد أنزل عليك وها هو يقرأ عليك في المساجد وفي الصلوات وأنت تقرأه في المساجد أو تعيش بين من يقرءونه، لو كان الأمر يتعلق بدينارك أو

درهمك لسألت عنهُ حتى لا تلحقك الخسارة في دينارك ودرهمك، تعلم أن هذا الأمر ممنوع من الدولة فتتجنبه وتسأل ما هو الممنوع حتى لا تقع في الخسارة وفي الغرامة وفي العقوبة، إذا كان ثم عقوبة في السجن، فإذا كان هذا في أمر الدينار والدرهم فكيف بأمر الدين؟!

فمن عاش بين ظهران المسلمين وهو يعرف لغة المسلمين ويبقى على جهالته هذا غير معذور، لأنهُ مفرِّط ومعرضٌ عن دين الله، لا يتعلمه ولا يرفع بهذلك رأسًا- نسأل الله السلامة والعافية-.

فالواجب على كل مسلم ومسلمة أن يعرف الحكمة التي لأجلها خلق ولأجلها رزق، ومُتع في هذهِ الحياة وهي عبادة الله وحده لا شريك له، وطاعته – سبحانه وتعالى – واتباع ماجاء بهِ رسوله – صلى الله عليهِ وسلم –، لا بد من أن يعرف العبد هذا، فإذا عرف هذا صحت المسار فيما بعد وسيبذل في كل ما يستطيع.

أما المسألة الثانية، إذا علم وعمل فعبد الله – سبحانه وتعالى – فليعلم أن هذهِ العبادة لا تقبل مع الشرك، فعليهِ أن يعبد الله وحده – لا شريك له – فبهذا تحفظ لهُ عبادتهُ فتقبل عند الله – جل وعز – ويكتب له عليها الثواب، أما إذا أشرك مع الله – جل وعلا – فسدت هذهِ العبادة وكان متعبًا نفسهُ فيما لا فائدة فيه، فيجب عليهِ بعد أن يعلم الحكمة التي خلقه الله لأجلها وهي عبادة الله وحده لا شريك له، وجب عليه أن يعلم أن الشـرك محبطٌ للعمل، وأنه أكبر الكبائر على

الإطلاق، فلا يجوز له أن يشـرك مع الله غيره في العبادة، وسيأتينا بيان العبادة أو أنواع من العبادة- إن شاء الله- قريبًا.

الشاهد إذا علم الحكمة التي خلق لأجلها وهي عبادة الله وحده، وطاعته -سبحانه وتعالى-، وطاعة رسوله - صلى الله عليهِ وسلم -، واتباع ما أنزل معه وهو القرآن العظيم، فلا بد أن يعلم أن هذهِ العبادة لا تُسمى عبادة ولا تكون عبادةً صحيحة إلا إذا حصل فيها أمران:

الأول: الخلو من الشرك.

الثاني: متابعة الرسول - صلى الله عليهِ وسلم -.

فالشرك محبطٌ للأعمال كما أن الحدث مفسدٌ للطهارة، وإذا فسدت الطهارة لم تصح الصلاة، فهكذا الشـرك محبطٌ للأعمال وإذا حبطت الأعمال لم تصح العبادة ولم يستفد مِنها عند الله - جل وعلا -.

فعلى المسلمِ والمسلمة أن يعلما أن الله لا يرضى أن يشرك معه أحد في عبادته سبحانه، لا ملـكٌ مقرب ولا نبيٌ مرسل، وضرب المثل بالملكِ المقرب والنبي المرسل الذين هم أفضل المخلوقات وأكثر المخلوقاتِ طاعةً لله - جل وعـلا - قـال الله - جـل وعـلا - عـن الملائكـة: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ الأنبياء: ٢٦ - ٢٩

هؤلاء الملائكة العظام الذين آتاهم الله بسطةً في الجسم هم في غايةِ الطاعة للهِ – جل وعلا – لا يسبقونهُ بالقول وهم بأمرهِ يعملون – سبحانه وتعالى –.

ومع ذلك لا يجوز عبادتهم، في غاية الصلاح هم، خلقهم الله لطاعتهِ وعبادته، ليس لهم عمل إلا عبادته- جل وعلا-،وطاعتهِ- سبحانه-، وتسبيحه- جل وعز-، ومع هذا لا تجوز عبادتهم مع أنهم مقربون.

وهكذا الأنبياء والمرسلين -عليهم الصلاة والسلام- هم أفضل الخلق وأطوع الخلق لله وأعرف الخلق بالله وأعبد الخلق لله وأعظم الناس جهادًا في سبيل الله، ومع ذلك لا تجوز عبادتهم من دون الله.

فإذا كان هذا في أفضل المخلوقات وهم الأنبياء والرسل – عليهم الصلاة والسلام – فمن دونهم من باب أولى ممن ليسوا في منزلة هؤلاء ممن يزعم لهم أحيانًا الولاية والصلاح وهم في الحقيقة ليسوا بأولياء ولا صالحين، بل ولو كانوا أولياء أو صالحين فإنه باتفاق أن الولي والصالح ليس بأفضل من النبي بحالٍ من الأحوال.

فإذا كان النبيُّ والمَلَكُ – عليهما السلام – لا تصح عبادتهما مع اللهِ –جل وعز- لا يجوز الإشراك بهما مع اللهِ – جل وعلا – فهكذا من كان دونهما، الملائكة والأنبياء أفضل الخلق، فتبًّا لمن عبدهم، ونُبه بالملائكة والأنبياء كما قلنا من باب الإشارة إلى أن من دونهم من باب أولى لا تجوز عبادتهم،

وأيضًا لأنه قد عُبد الملائكة وقد عُبد بعض الأنبياء، وتبًّا لمن عبد المخلوق أو أشركهُ مع الخالق فإن هذا يدل على سفه.

وَبِالمَلائِكَةِ الرُّسْلِ الكِرَامِ عِبَادِ اللهِ نُؤمِنُ ❁❁❁ خَابوا مَنْ لَهُمْ عَبَدُوا
مِنْ دُوْنِ رَبّي تعَالَى وَالتَّبَابُ لِمَنْ كَانُوا ❁❁❁ لَهُ ولَهُمْ والمُرْسَلِيْنَ عَدُو
بَلْ هُمْ عِبَادٌ كِرَامٌ يَعْمَلُوْنَ بِأُمْرِ اللهِ ❁❁❁ لَيْسَ لَهُ نِدٌّ وَلاَ وَلَدُ
مِنْهُمْ أُمِيْنٌ لِوَحْيِ اللهِ يُبْلِغُهُ لِرُسْلِهِ ❁❁❁ وَهْوَ جِبْرِيْلُ بِهِ يَفِدُ
وَلِلرِّيَاحِ وَقَطْرٍ وَالسَّحَابِ فَمِيْكَالُ ❁❁❁ بِذَاكَ إِلَيْهِ الْكَيْلُ وَالْعَدَدُ
كَذَاكَ بِالنفخِ إِسْرافيْلُ وُكِلَ وَهْوَ ❁❁❁ الآنَ مُنْتَظِرٌ أَنْ يَأْذَنَ الصَّمَدُ

إلى أن قال:

كَذَا زَبَانِيَةُ النِّيْرَانِ يَقْدُمُهُمْ ❁❁❁ فِي شَأْنِهَا مَالِكٌ بِالْغيْظِ يَتَّقِدُ
كذاك رضوان في أعوانه خزنوا ❁❁❁ لجنة الخلد يشري من بها وعدوا
وَآخَرُوْنَ فَسَيَّاحُوْنَ حَيْثُ أُتَوا ❁❁❁ مَجَالِسَ الذِّكْرِ حَفُّوا مَنْ بِهَا قَعَدُوا
وَغَيْرُهُمْ مِنْ جُنُوْدٍ لَيسَ يَعْلَمُهَا ❁❁❁ إِلاَّ الْعَلِيْمُ الْخَبِيرُ الْوَاحِدُ الأَحَدُ

فهؤلاء هم الملائكة الذين خلقهم الله من نور لطاعته وعبادته وقد وصفهم لنا في كتابه لا تجوز عبادتهم، وهؤلاء هم أنبياؤه ورسله الذين أخبر الله- سبحانه وتعالى- عن حالهم في اجتهادهم في طاعة ربهم -سبحانه وتعالى- وتبليغهم ما أمرهم الله به، ومع ذلك لا تجوز عبادتهم فمن دونهم من باب أولى، والصالحون الأولياء العُباد الزُهاد لا يجوز، فلا تكونوا كالذين خلوا من

قبل، ﴿ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ ذَٰلِكَ قَوۡلُهُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۚ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ٣٠ ﴾ التوبة: ٣٠

فهؤلاء عبدوا عُزيرا وهؤلاء عبدوا عيسى ابن مريم، فعُبد بعض الأنبياء فنبه بذلك- رحمه الله- لا ملك مقرب ولا نبي مرسل، ولا نبيٌّ مرسل، والنبي هو من أوحي إليه بشرع من سبق فقام به وبُيّن له حال من سبق قبلهم من الأنبياء لم يرسل برسالة مستقلة،

وأما الرسول فهو الذي أرسل برسالة مستقلة، هذا هو الصحيح في تعريف الأنبياء وتعريف الرسل، وأما القول بأن النبي من أوحي إليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه هذا قولٌ فاسد حقيقة لا معنى له، إذًا فلماذا يوحى إليه؟ والله- جل وعلا- يقول: ﴿ رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾ النساء: ١٦٥ ويقول: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٥٢ ﴾ الحج: ٥٢

فالإرسال حصل لاثنين للرسول والنبي فكيف تقول مرسل نبي ولم يؤمر بالتبليغ؟ هذا قول يناقض صريح القرآن، الصحيح أن النبي أرسل بشريعة غير مستقلة بتجديد شريعة من سبق، أما الرسول فهو الذي يوحى إليه بشريعة مستقلة، فهذا هو الصحيح.

فلا يجوز عبادة هؤلاء لا ملك مقرب ولا نبي مرسل، والدليل قوله- تبارك وتعالى-: ﴿ وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا ١٨ ﴾ الجن: ١٨ والشاهد موضع الشاهد بالآية قوله: "أحدا" ﴿ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا ١٨ ﴾ الجن: ١٨، فإن أحدا هنا نكرة في سياق النهي، والنكرة في سياق النهي تفيد

العموم، أحدا نكرة في سياق النهي والنكرة في سياق النهي كما قرر الأصوليون كما قرره أيضًا اللغويين النُّحاة أن النكرة إذا جاءت في مساق النهي أفادت العموم، فقوله "أحدا" عام يشمل الملائكة ويشمل الأنبياء والرسل-عليهم الصلاة والسلام- ويشمل الأولياء ويشمل العُبَّاد والزهاد والصالحين ويشمل كل شيء من الأشياء والأحجار والأوثان والأصنام والكواكب والشمس والقمر إلى غير ذلك، كلها تدخل فيه، تدخل في هذا، فلا يجوز أن يُعبد مع الله أحد -سبحانه وتعالى-،

هذا هو الدليل فلا تدعو مع الله أحدا، وهو في الوقت نفسه دليل على أن الدعاء لغير الله شرك، وسيأتينا- إن شاء الله تبارك وتعالى- الدليل على هذه الأنواع من العبادات على هذا في أدلة أنواع من العبادة في موضعها- إن شاء الله-،

هذه هي المسألة الثانية: أن الله لا يرضى أن يشرك معه أحد من خلقه- سبحانه وتعالى- في عبادته لا ملك مقرَّبٌ ولا نبيٌّ مُرسلٌ فضلا عمن دونهما مما ابتليت به الأمة في هذه الأعصار، ممن يزعم لهم الصلاح ويُقال الصالحين أو الوِلاية ويُقال الأولياء، وهكذا فيُبنى عليهم المساجد تُبنى عليهم الأضرحة ويُقصدون من دون الله -تبارك وتعالى-، يُقصدون في طلب الولد، يُقصدون في قضاء الحوائج، يُقصدون في رفع الملمات، وكشف المهمات، وإزاحة الغُمّات، هذا قد وُجد في هذه الأمة، بل العجب أن مشركي قريش إذا جاءت الشدة كانوا يوحدون ﴿لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾﴾ يونس: ٢٢، ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾﴾ العنكبوت: ٦٥،

فكفار قريش مشركون في حال الرخاء، والمشركون ممن انتسبوا إلى الإسلام يُشركون في الرخاء والشدة، قريش تُشرك في الرخاء والمشركين لكن إذا جاءت الشدة فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين، يعني إذا جاءهم المصيبة وخشوا الهلاك دعوا الله مخلصين له الدين، فلما نجاهم إلى البر إذا هم يُشركون، وبعض المسلمين اليوم أخس من قريش ومشركي الجاهلية، يُشركون في الرخاء والشدة، إذا جاءت الشدة أشرك، وسأذكر لكم مما دَوَّنَ التاريخُ، فمن العظائم التي نزلت بالمسلمين قصة التتار حينما اجتاحوا الشرق الإسلامي إلى أن وصلوا إلى بغداد، وكلكم يقرأ ذلك، ثم لما اجتاحوها بعد ذلك واصلوا غربًا إلى دمشق إلى الشام، في هذا الوقت قال قائلهم:

يا خائفين من التتر ۞۞۞ لوذوا بقبر أبي عمر

هذا موجود، افتحوا البداية والنهاية تجدونه كتب التواريخ التي دونت هذه الحقبة تجدونها

يا خائفين من التتر ۞۞۞ لوذوا بقبر أبي عمر

أبو عمر شيخ الحنابلة أخو الموفق -موفق الدين بن قدامة-، صاحب الجامع العمري المشهور بفتح جبل قاسيوم، والمعروف باسم الجامع المظفري الآن، فأبو عمر رجل صالح من فقهاء الحنابلة وعُبادهم، بل أسرة المقادسة أسرة الموفق وأسرة أخيه عَمَّ الصلاحُ والعلم والتُّقى فيهم رجالا وإناثا شاع فيهم العلم وذاع، فمن هنا اعتقد بعض الجهلة فيهم فقال هذا القائل:

يا خائفين من التتر ۞۞۞ لوذوا بقبر أبي عمر

وقت الشدة، قريش إذا جاءت الشدة دعوا الله مخلصين له الدين، وهؤلاء في وقت الشدة يشركون -نعوذ بالله من ذلك-، فقام شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله تعالى- في هؤلاء، ودعاهم وجاهدهم هم أولا حتى صفا التوحيد وصحّت العبادة، ثم بعد ذلك تصدى بهذا الجيش للتتار، فهزم الله التتار على أيديهم،

فمن شرط النصر أن تنصر الله -جل وعلا- في نفسك ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ٧﴾ محمد: ٧

فإذًا لا يُدعى مع الله أحد لا ولي ولا نبي ولا رسول ولا ملَك ولا عابد ولا صالح ولا زاهد، إنما يُعبد الله -جل وعلا- وحده، فلا بد أن يُعرف هذا تمام المعرفة، يُعلم أن الشرك أعظم ذنبٌ عُصي الله به.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ٤٨﴾ النساء: ٤٨ الآية الأولى، والآية الثانية التي تليها في السورة نفسها والموضوع نفسه ومشابهةٌ لها تمامًا إلا في آخرها، ﴿وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١١٦﴾ النساء: ١١٦

فالمشرك مفترٍ ضال، مفتر؛ لأنه قال على الله ما لم يقُل، وعمل في دين الله ما لا يجوز له، وضال عن الحق والهدى؛ لأنه تنكبه، وأما عبادة عيسى ابن مريم فهي أشهر من أن نتكلم عليها، بين من يزعمون أنهم على ديانته، المتبعون له، فقد جعلوه إلهًا ﴿وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥۚ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ١١٦ مَا قُلۡتُ لَهُمۡ إِلَّا مَآ أَمَرۡتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعۡبُدُواْ

ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۚ وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ١١٧ إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١١٨ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡ ﴾ المائدة: ١١٦ - ١١٩ الآيات،

قال عيسى ابن مريم لقومه مبينا لهم هذا الكلام، ومتبرِّئًا منهم يوم القيامة حينما عبدوه، وقال لهم -عليه الصلاة والسلام-: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ٧٢ ﴾ المائدة: ٧٢ فخالفوه وأول ما خالفوه وهو ينهاهم عبدوه هو من دون الله -تبارك وتعالى-.

فانظر إلى هذا السفه! وإلى هذا الحمق! في عقول هؤلاء، وجعلوا الثلاثة واحدا الأب والابن وروح القدس، وقالوا واحد!،

وعيسى يقول لهم ﴿وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ ﴾ النساء: ١٧١ يأمرهم بهذا وينهاهم عن ضده ومع ذلك خالفوه.

فالواجب على المسلم والمسلمة أن يعلم أن الله لا يرضى أن يُشرك معه غيره أحد في العبادة فإن فعلت ذلك فإنك إذًا من الظالمين، فلابد أن يُرَكّز هذا في قلوب المسلمين ذكورا وإناثا صغارا وكبارا يُغرس هذا في قلوبهم ويُتعاهد بالسقي، والسقي هو التعليم الدائم والمتابعة والشرح والبيان وكلما رأيت مناسبة تُذكّر به.

فالتوحيد هو الذي لأجله خُلِقنا، نعم ثم بعد ذلك إذا علمت هذا الحكمة من خلقك، لماذا خلقك الله -جل وعز-؟ ما هي الحكمة من الخلق؟ وعرفت الحكمة وبعدها تعرف أنه لا يجوز لك حينئذ أن تشرك مع الله أحدًا في عبادته، لابد أن يأتي الولاء والبراء، هذه هي المسألة الثالثة التي لابد أن تُغْرَس في قلب كل مؤمن ومؤمنة، كل مسلم ومسلمة، لابد أن يعلموا هذا أن من أطاع الرسول ووحد الله لا يجوز له موالاة من حاد الله ورسوله ولو كان أقرب قريب، فإذا وحَّدت الله -جل وعلا- وأطعت رسوله-صلى الله عليه وسلم- واتبعته فلا يجوز موالاة من حاد الله، يعني: من أشرك بالله، من حاد الله يعني: من أشرك بالله-جل وعلا- ولو كان أقرب قريب،

وأقرب قريب إليك هو الأب والأم، الأبوان الوالدان إذا كانا على قيد الحياة وبقيا على الشرك فليس لك أن تواليهما، نعم تعطيهما حقهما الذي أوصى الله به، فإذا أعطيتهما حقهما الذي أوصى الله به تقدم على محبتهما محبة الله ورسوله، قال-جل وعلا- : ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ المجادلة: ٢٢ المحادة هنا هي المحاربة لله ولرسوله-صلى الله عليه وسلم- ﴿وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ﴾ المجادلة: ٢٢

قدّم الآباء لأنهم السبب في وجودهم، قدم الآباء في الذكر؛ لأنهم السبب في الوجود؛ لأنهم السبب في الوجود بعد الله -جل وعلا-، فبدأ بهم؛ لأن لهم الفضل عليك في الوجود بعد الله- سبحانه وتعالى-، وثنّى بالأبناء؛ لأنهم أنزل لأنك أنت الأصل في إيجادهم بعد الله- سبحانه-، فلما تسلسلت من أبويك قُدِّمَا؛ لأنهما الأصل في وجودك، ولما كان الابن متسلسلا منك أُخِّر؛

لأنك أنت الأصل في وجوده، فبدأ بالأصل الأول وهو الأبوان، وثنَّى بالفرع وفي الحديث الذي تسلسل منك، نحن جعلنا طاعة الوالد أعظم ولا تُطيع الولد، الولد هو الذي يُطيعك، فلما كان مغزى الطاعة هنا يُدخل منه بدأ بالأبوين، أنا أبوك، تقول أنا أمك تعصيني؟

لما كان الأصل هذا بدأ بهما؛ لأن حقّهما أعظم، فلا يسوغ لك العصيان، فنبّه على أن العصيان لهما في طاعة الله واجبة، إذا أمرك بالمعصية معصية الله ورسوله، وقد نبّه على ذلك بصريح العبارة ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ ﴾ لقمان: ١٥

والآية الأخرى ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَآۚ ﴾ العنكبوت: ٨ ثم أمر ﴿وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗاۖ وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّۚ ﴾ لقمان: ١٥ فأمر بمصاحبتهما بالمعروف وعدم طاعتهما في معصية الله- جل وعلا-، فهذا من البر، الصحبة بالمعروف، وأما طاعتهما في معصية الله -جل وعز- هذا من الشرك ومن الموالاة لهما على الباطل فلا يجوز، ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم، فالإخوان في المرتبة الثالثة، أو عشيرتهم، العشيرة في المرتبة الرابعة؛ لأن العشيرة أنت تسعى لصلاحها، ويبني لأبناء العشيرة صالحا، فأنت تسعى في صلاح العشيرة لكن إذا فارقتهم في الدين وأمروك للعودة عنه فلا يجوز ولو كان العشيرة وتفارقهم واعلم أنك إن فارقتهم في ذات الله -جل وعلا- والسير في سبيله فلن تذل- بإذن الله تبارك وتعالى- ولهذا -جل وعلا- يقول: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ ﴾ المجادلة: ٢٢ عوَّضهم لقاء عملهم العظيم بأن ﴿كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ ﴾ المجادلة: ٢٢ يعني نصرهم -سبحانه وتعالى-

على هؤلاء المخالفين لهم، ويدخلهم- سبحانه-: ﴿جَنَّٰتٍ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٢٢﴾ المجادلة: ٢٢

فهذا الحزب هو الحزب الوحيد الذي يجب عليك أن تنضم تحته وبقية الأحزاب كلها لا تجوز، هذا هو الحزب الوحيد الذي يجب عليك أن تنظم تحته وتوالي فيه وتعادي فيه ألا وهو حزب الله ورسوله أولئك حزب الله -سبحانه وتعالى-، فهؤلاء الذين أخلصوا لله العبادة وكفروا بما يُعبد من دون الله -جل وعلا- فلم يُشركوا معه أحدًا لا ملكًا مقرَّبًا ولا نبيًّا مرسلًا ولم يوادوا من حاد الله ورسوله هؤلاء هم الحزب المعترف به يجب أن تنضمَّ إليهم وأن تعمل عملهم وأن تسير سيرهم وأن تمضي في ركابهم وما عداهم من الأحزاب فكلها باطلة، هؤلاء حزب الله، قال الله فيهم: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٢٢﴾ المجادلة: ٢٢ فالحزب والتَّحزُّب في اللغة هو التَّجمُّع على شيءٍ، وليس كل التحزب مذمومًا، منه ما هو مذموم ومنه ما هو محمود،

فالاجتماع على أمر الله ورسوله، على إخلاص العبادة له، على موالاة أوليائه ومعاداة أعدائه- سبحانه وتعالى- ونصرة دينه واتباع رسوله هذا هو الحزب الذي يجب أن تسير فيه، فنحن كلنا في هذا الحزب، حزب الله- جل وعلا-، ليس لنا أحد نعظِّمه مطلقًا في كل ما يقول ويعمل إلا رسول الله- صلى الله عليه وسلم-، وما عداه من الأحزاب فكلها باطلة هؤلاء حزب الله قال الله فيهم: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٢٢﴾ المجادلة: ٢٢

فالحزب والتحزب في اللغة هو التجمع على شيء وليس كل التَّحزُّب مذموما منه ماهو مذموم منه ماهو محمود فالاجتماع على أمر الله ورسوله، على إخلاص العبادة له، على موالاة أوليائه، ومعاداة أعدائه- سبحانه وتعالى-، ونصرة دينه، واتباع رسوله، هذا هو الحزب الذي يجب أن تسير فيه فنحن كلنا في هذا الحزب حزب الله- جل وعلا- ليس لنا أحد نعظمه مطلقا في كل ما يقول ويعمل إلا رسول الله- صلى الله عليه وسلم-: ﴿ يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ ﴾ الإسراء: ٧١ قال الحافظ ابن كثير في تفسيره قد أخذ بعض أهل العلم من هذه الآية منقبة وشرف لأهل الحديث فإنهم ليس لهم إمام يتعصبون له وينتسبون إليه إلا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فلذلك ما يرضى أن ينسب إلى أحد ينتسب الحديث، ما يقول أنا من جماعة فلان ولا من جماعة فلان لا يرضى بهذا؛ لأن هذا تفريق للأمة فهذا هو الحزب الوحيد المعترف به في شرعنا والذي يجب أن نسير فيه جميعًا حزب الله الذي مدح الله -سبحانه وتعالى- أهله ووصفهم بهذا الذي سمعتم؛ لأنه رضي عنهم وأنه يدخلهم الجنات وأنهم من أهل الفلاح، نسأل الله- تعالى- أن يجعلنا وإياكم منهم.

ثم قال- رحمه الله-: اعلم أرشدك الله لطاعته وهذا قد قلنا ما قلنا فيه بالأمس في القواعد فلا نعيده أن الحنيفية هي ملة إبراهيم ثم فسرها أن تعبد الله مخلصًا له الدين وبذلك أمر الله- تعالى- جميع الناس قال الله -جلا وعلا-: ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ﴾ النحل: ١٢٣ أيها النبي ﴿أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ النحل: ١٢٣ فأوحى الله- سبحانه وتعالى- إلى رسوله أن يسير سيرة جده إبراهيم- عليه السلام-.

فهو: محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن مالك بن النضر بن خزيمة ابن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن عدنان وهذا هو المتفق عليه وما فوق عدنان مختلف فيه ولا خلاف في أن عدنان من ولد اسماعيل بن إبراهيم- عليهما وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام- وسيأتي إن شاء الله تعالى معنا.

فإبراهيم الذي قال الله فيه ﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ آل عمران: ٦٧ أولى الناس به في زمانه الذين اتبعوه على دينه وبعد ذلك الذين اتبعوه على دينه ثم هذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين فملة إبراهيم هي الملة الحنيفية.

والحنيفية تعريفها: أن تعبد الله مخلصا له الدين.

ولهذا قال النبي- صلى الله عليه وسلم- كما في سورة الزمر ﴿ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ﴿١٤﴾ فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ ﴾ الزمر: ١٤ - ١٥ تهديد قل يا محمد لهم: إنني إنما أعبد الله مخلصا له ديني فاعبدوا ما شئتم من دونه هل تخيير؟

لا هذا تهديد اعبدوا ماشئتم إلينا سترجعون وسنجازيكم كقوله- جل وعلا-: ﴿ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ﴾ فصلت: ٤٠ هل هذا تخيير لنا أن نعمل ما نشاء وما نشتهي؟ لا لكن هو تهديد ﴿ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ فصلت: ٤٠ فسيجازيكم على كل شيء.

فالحنيفية هي أن تعبد الله مخلصا له الدين ألا لله الدين الخالص وبذلك أمر الله جميع الناس﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٣١﴾ التوبة: ٣١

ما أمروا إلا أن يعبدوا هذا الإله الواحد -سبحانه وتعالى- ولهذا قال جل وعلا هنا ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦﴾ الذاريات: ٥٦ هذه هي الحنيفية، فإن معنى يعبدون كما روي عن عبد الله بن عباس يوحدون، فإذا وحدت جئت بأعظم أمر أمرك الله به ولذلك قال- رحمه الله- أعظم ما أمر الله به هو التوحيد والتوحيد هو إفراد الله- جل وعلا- بالعبادة أي جعل المعبود واحدا، تعبده -سبحانه وتعالى- لا تشرك معه أحدا، تعبده حبا وإخلاصا مع الإذعان، تعبده رغبا ورهبا ومحبة.

وعبادةُ الرحمنِ غايةُ حبّهِ ۞۞۞ مع ذُلِّ عابدِهِ هما قطبانِ
وعليهما فلكُ العبادةِ دائرٌ ۞۞۞ ما دار حتى قامت القطبانِ

فالإخلاص لله- سبحانه وتعالى- والذل له مع المحبة، هذا هو العبادة: إفراد الله- سبحانه وتعالى- بالعبادة فلا تدعو إلا الله ولا تحلف إلا بالله ولا تنذر إلا له ولا تتوكل إلا عليه ولا تستعين إلا به وهكذا مما سيأتي معنا من بقيةِ أنواع العبادة التي ذكرها المصنف- رحمه الله تعالى-.

فإذا عرفت أن أعظم ما أمر الله به هو التوحيد وأتيته فعليك أن تعرف أن أعظم ما نهى الله عنه هو الشرك، والسبب في كون كل واحد أعظم أعظم هو أنه بدون توحيد لا تقبل الأعمال،

مع الشرك لا تقبل الأعمال، فالشرك أعظم سبب محبط للأعمال فوجب البعد عنه والتوحيد أعظم سبب موجب لقبول العمل فوجب الإتيان به فإن العبادة بلا توحيد لا تنفع صاحبها لا عبرة بها والشرك هو دعوة غيره معه -سبحانه وتعالى-، قال -جل وعلا-: ﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا ﴾ النساء: ٣٦ ففي أول الآية الأمر بعبادته- سبحانه- وفي الثانية هو في آخر الآية النهي عن عبادة غيره معه، فأمر ونهي لا بد منهما، لا إله إلا الله، نفي وإثبات ﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ ﴾ النساء: ٣٦ ففي هذه الآية معنى لا إله إلا الله أي لا معبود حق إلا الله- تبارك وتعالى-.

فيجب على كل مسلم ومسلمة أن يعلم أن أعظم ما نُهي عنه الشرك لا شيء أعظم منه فيجب عليه أن يجتنبه ويبتعد عنه، ويعلم أن أعظم ما أمر الله به هو التوحيد فيجب عليه أن يأتيه فيعبد الله- سبحانه وتعالى- مخلصا له الدين مبتعدا عن الشرك حتى يستفيد من هذا العمل الذي هو قد أتعب نفسه فيه وأدأبها ليلا ونهارا وإلا كان كمن قال الله فيهم ﴿ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ٢ عَامِلَةٞ نَّاصِبَةٞ ٣ تَصۡلَىٰ نَارًا حَامِيَةٗ ٤ تُسۡقَىٰ مِنۡ عَيۡنٍ ءَانِيَةٖ ٥ لَّيۡسَ لَهُمۡ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٖ ٦ لَّا يُسۡمِنُ وَلَا يُغۡنِي مِن جُوعٖ ٧ ﴾ الغاشية: ٢ - ٧ عياذا بالله من ذلك فلابد أن يتعلم المسلم والمسلمة هذه المسائل يجب أن يتعلم هذا وجوبا عينيًّا.

المتن:

قال المؤلف- رحمه الله تعالى- : فَإِذَا قِيلَ لَكَ : مَا الأُصُولُ الثَّلاثَةُ التِي يَجِبُ عَلَى الإِنْسَانِ مَعْرِفَتُهَا؟ فَقُلْ : مَعْرِفَةُ الْعَبْدِ رَبَّهُ ، وَدِينَهُ ، وَنَبِيَّهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الشرح:

هذه الأصول الثلاثة التي يجب على العبد أن يعرفها، أولا: أن يعرف من ربه، وأن يعرف ما دينه الذي يتعبد لربه به، وأن يعرف من نبيه الذي بعث إليه، فلا بد أن يعرف هذه الأصول من ربه؟ وما الدين؟ ومن رسوله؟، من ربه؟ ما الدين؟ وما الرسول؟

فلا بد أن تعرف من الرب، وما الدين، ومن الرسول، هذه ثلاثة أصول يقوم عليها الدين كله لا يخرج عنها شيءٌ، الأول معرفة الرب، الثاني معرفة الدين، الثالث معرفة الرسول، وسيأتي تفصيلها.

المتن:

فَإِذَا قِيلَ لَكَ : مَنْ رَبُّكَ؟ فَقُلْ : رَبِّيَ اللهُ الَّذِي رَبَّانِي ، وَرَبَّى جَمِيعَ الْعَالَمِينَ بِنِعَمِهِ ، وَهُوَ مَعْبُودِي لَيْسَ لِي مَعْبُودٌ سِوَاهُ ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: (الْحَمْدُ للَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) [الفاتحة: 2].

وَكُلُّ مَنْ سِوَى اللهِ عَالَمٌ ، وَأَنَا وَاحِدٌ مِنْ ذَلِكَ الْعَالَمِ.

فَإِذَا قِيلَ لَكَ : بِمَ عَرَفْتَ رَبَّكَ؟

فَقُلْ : بِآيَاتِهِ وَمَخْلُوقَاتِهِ ، وَمِنْ آيَاتِهِ : اللَّيْلُ ، وَالنَّهَارُ ، وَالشَّمْسُ ، وَالْقَمَرُ ، وَمِنْ مَخْلُوقَاتِهِ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرَضُونَ السَّبْعُ وَمَنْ فِيهِنَّ ، وَمَا بَيْنَهُمَا ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾﴾ فصلت: ٣٧

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ الأعراف: ٥٤

وَالرَّبُّ هُوَ الْمَعْبُودُ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ البقرة: ٢١ - ٢٢

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: الخَالِقُ لِهَذِهِ الأَشْيَاءِ هُوَ الْمُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ.

الشرح:

سمعنا في هذا الجزء الذي قرأه علينا أخونا- جزاه الله خيرا-، بيان ما تقدم معرفة العبد ربه ودينه ونبيه فبدأ بالأول- رحمه الله- وهو معرفة الرب،

وأنا كلا مقعر مسئول ما الدين ما الرب وما الرسول

هذه الثلاثة التي ستسأل عنها في قبرك، فإن نجحت فقد أفلحت وإن قلت هاه هاه لا أدري قيل لك لا دريت ولا تليت وهذا أول العذاب- نعوذُ بالله من ذلك-.

فلابد من حفظ الإجابة والعمل بها قبل أن تُسأل هذا السؤال في القبر، هذه فتنة القبر أول ما تُسأل عن هذا،

وأنا كلا مقعر مسئول ما الدين ما الرب وما الرسول

يقول شيخ شيوخنا في السلم سلم أهل السنة والجماعة، اعتقاد أهل السنة هذا هو السلم الجيد الطيب الذي إذا أردت أن تصل إلى السطح وترتقي وترتفع صعدت عليه بأمن وأمان ولا تزال

تترقى وتترفع الارتفاع الشريف فلا بد من معرفة الجواب على هذه السؤالات الثلاثة ما الدين وما الرب وما الرسول.

معشر الأحبة هذا الباب باب التوحيد والكلام فيه هو لنا بمثابة النَّفَسِ نحيا به إذا انقطع عنا نموت بعض الناس يأتيه إبليس ليفسد عليه يقول أنا رجل كبير وعالم هذه الأمور يعرفها الطلاب في الابتدائي لا يا أخي لو كان هذه هي النظرة ما أعاد الله فيها وزاد وكرر الكلام في كتابه ويشرحه- صلى الله عليه وسلم- أعلم الخلق على الإطلاق لربه- تبارك وتعالى- يشرحه لفضلاء الصحابة وعقلائهم ودهاة العرب ويبيِّنه لهم ويتعاهدهم فيه.

أخي الحبيب إن جاءك أو قام بنفسك شيءٌ من هذا فاعلم أنه من إبليس ليصرفك عن هذا فتتساهل فيه فبعد ذلك ترى من يقع فيه ولا يقشعر جلدك ترى من يقع في الشرك ولا يشمئز الإنسان لما يرى من هول المنظر وبعد ذلك لا يمنعه أن يترقى به إلى أن يكون جليسا لهؤلاء مجاملا لهم، فأين موالاة من حاد الله ورسوله؟

فنحن من هذا الباب نحن محتاجون إلى التوحيد في كل ثانية وجزء من الثانية نذكره ونتذكره ونذاكر فيه ونتذاكر به، فأمر التوحيد أمر عظيم كيف لا يكون كذلك والنجاة قائمة عليه بين يدي الله -جل وعلا- فلا بد من معرفة هذه الأصول الثلاثة معرفة العبد ربه ودينه ونبيه محمد -صلى الله عليه وسلم- فإن قيل لك من ربك؟، الآن بدأ بالأصل الأول- رحمه الله-، مَن ربك؟ هذا تلقين إلقاء له بصيغة السؤال ليتهيَّأ السامع فيشد انتباهه ليحفظ ما ألقي إليه، مَن

ربك؟ إن كنت عالمًا أجبت وإن كنت غير عالم انتبهت يشد انتباهك، من ربك؟ فإذا شدَّ الانتباه تنبه القلب فاستعد لحفظ ما سيلقى عليه جاء الجواب فقل: ربي الله الذي ربَّاني وربَّى جميع العالمين بنعمه وهو معبودي ليس لي معبود سواه ربي الله الذي رباني وربى جميع العالمين بنعمه.

فالرب هو المعبود- سبحانه وتعالى- وهو الذي يربِّيك يغذوك بالنعم بعد ما خلقك وأوجدك من العدم وأنزلك إلى الأرض، غذاك بالنعم لتستعين بها على طاعة الله -تبارك وتعالى- فهذا هو الرب، الله- جل وعلا- الذي خلقك وخلق الذين من قبلك ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١ ﴾ البقرة: ٢١ فكما خلقك وخلق الذين من قبلنا فلا بد أن نقوم بحقه علينا وهو عبادته -سبحانه وتعالى- وهو معبودي ليس لي معبود سواه.

قال -جل وعلا-: ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢ ﴾ الفاتحة: ٢ رب العالمين فهو الذي رباهم وغذاهم بالنعم والعالمين بالفتح في اللام جمع عالم جمع عالم وكل ما سوى الله عالَم، عالم الإنس، عالم الجن، عالم الملائكة، عالم الحيوانات، وهكذا، كل ما سوى الله عالَم، وأنت واحد من هذا العالَم الذين يحمدون الله- تبارك وتعالى-.

فإذا قيل لك بم عرفت ربك؟ هذا سؤال آخر، انتبه، الإجابة قل بآياته ومخلوقاته، فمن آياته- جل وعلا- الليل والنهار والشمس والقمر ومع ذلك ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيۡلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُۚ لَا تَسۡجُدُواْ لِلشَّمۡسِ وَلَا لِلۡقَمَرِ وَٱسۡجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ٣٧ ﴾ فصلت: ٣٧

فالشاهد هذا هو الجواب، عرفته بآياته ومن آياته الليل والنهار وعرفته بمخلوقاته ومن مخلوقاته السماوات السبع والأرضون السبع ومن فيهن وما بينهما، من في هذه السماوات من المخلوقات ومن في هذه الأرض أيضا من مخلوقات وما بينها المخلوقات التي نراها والتي لا نراها والدليل قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ فصلت: ٣٧

هذه المخلوقات وإن كانت عظيمة وكبيرة ولكنها دالة على أن الذي خلقها أكبر يقول الشاعر العربي:

رأيتُ اللهَ أكبرَ كل شيءٍ ۞۞۞ محاولةً وأكثرهم جنودًا.

فإن كانت هذه الآيات كبيرة وهذه المخلوقات كبيرة إلا أنها دالة على أن الخالق أكبر وأعظم – سبحانه وتعالى–، فأنت تتعرف عليه ببعض الآيات التي منها الليل والنهار والشمس والقمر والمخلوقات التي منها السماوات السبع والأرضين السبع، وما فيهن ، مما تراه ومما لا تراه، وأنت تستدل بما تراه على ما تراه، وأيضًا وما بينهما، يا عجبًا كيف لا يهتدي المهتدي إذا تفكر في هذه الآيات ؟!.

وقص ابن ساعدة خطيب العرب يقول: **" الأثر يدل على المسير، والبَعرةُ تدل على البعير"** فإذا وجدت بَعرة في الطريق ما تعلم أنه مرت من هنا ناقة وجمل.. أليس كذلك؟. هذا يدل على أن الطريق مر به إبل، والأثر يدل على أن هذا الطريق مر به إما حيوان وأما إنسان.

فالبعرة تدل على البعير والأثر يدل على المسير، أرض ذات فجاج وسماء ذات أبراج وبحار ذات أمواج أفلا تدل على اللطيف الخبير؟!!

بلى، فهذه الآيات والمخلوقات تدل على أنهن لهن ربا وخالقا، ولذلك كان المتحنِّفون من العرب قبل البعثة ينقل عنهم شيئًا من هذا ومن ذلك قول زيد بن عمرو بن نفيل: **"وأسلمت وجهي لمن أسلمت له المزن، تحمل عذبا زلالا إذا هي سيقت لأرض أطاعت إليها وأضحت عليها سجالا دحاها فلما رآها استوت على الماء أرسى عليها الجبال"** ثم كان يقول:**" يا ربي والله لو كنت أعلم أحب الوجوه إليك لعبدتك به ولكني لا أعلم فيسجد على ظهر راحلته "** وجاء فيه لقد رأيت زيد بن عمرو بن نفيل يجر أذياله في الجنة يقوله النبي -صلى الله عليه وسلم-؛ لأنه ممن ماتوا على الحنيفية، هذه بقايا الحنيفية بقيت في قريش لكن حُرِّفت ولكن بقايا التوحيد عند بقايا من الناس فهذا زيد بن نفيل والد سعيد بن زيد لأنه ابن عم عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-، فلما مات رثاه ورقة بن نوفل بقوله:

سعرت وأنعمت ابن عمرو وإنما ۞۞۞ تجنبت تنورا من النار حاميا
ببين ربك ليس رب كمثله ۞۞۞ وتركك أصنام الطواف كما هيا

هؤلاء في الجاهلية قبل الإسلام بقيت عندهم بقايا من الحنيفية الملة الحنيفية ملة إبراهيم، فكيف بنا نحن والقرآن بين أيدينا، ويحصل هذا التفريط منا ويعبد من دون الله ما لا يستحق العبادة بل هو كان عابدًا لله- تبارك وتعالى-، يالله العجب! فالخالق لهذه الأشياء هو المستحق

للعبادة وحده لا شريك له، والدليل الثاني قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ يونس: ٣

خلق السموات والأرض في ستة أيام، خلق السماء في يومين والأرض في أربعة أيام، ستة ، وقدّر فيها أقواتها والأرزاق التي فيها سواءً للسائلين، - سبحانه وتعالى - ثم استوى على العرش، استواء يليق بجلاله وعظمته والعرش هو سرير الملك له -سبحانه وتعالى-، وهو مستغنٍ عنه وقد خلقه الله ثم خلق القلم، والمسألة معروفة الخلاف فيها: هل القلم أولا أو العرش أولا ؟ والصحيح أن العرش هو الأول...

والناس مختلفون في القلم الذي ۞۞۞ كتب القضاء به من الديان
هل كان قبل العرش أو هو بعده ۞۞۞ قولان عند أبي العلاء الهمذاني
والحق أن العرش قبل لأنه ۞۞۞ عند الكتابة كان ذا أركان
ولكتابة القلم الشريف تعقبت ۞۞۞ إيجاده من دون فصل زمان
لما براه الله قال اكتب كذا ۞۞۞ فغدا بأمر الله ذا جريان
وجرى بما هو كائن أبدا ۞۞۞ إلى يوم المعاد لربنا الرحمن

وفيه حديث أبي هريرة في صحيح مسلم: "إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ. قَالَ: مَا اكْتُبْ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يوم القيامة، فجرى، قال: وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ"[1]، فدل ذلك على أن العرش كان موجودا قبل خلق القلم.

[1] عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، قَالَ : " إِنَّ أَوَّلَ شَيْءٍ خَلَقَهُ اللَّهُ الْقَلَمَ ، فَقَالَ لَهُ : اكْتُبْ ، فَقَالَ : وَمَا أَكْتُبُ ؟ فَقَالَ : الْقَدَرَ ، فَجَرَى مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ ، قَالَ : وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ، فَارْتَفَعَ بُخَارُ الْمَاءِ ، فَفُتِقَتْ مِنْهُ السَّمَاوَاتُ ، ثُمَّ خَلَقَ النُّونَ فَبُسِطَتِ الأَرْضُ عَلَيْهِ ، وَالأَرْضُ عَلَى ظَهْرِ النُّونِ فَاضْطَرَبَ النُّونُ فَمَادَتِ الأَرْضُ ، فَأَثْبَتَتْ بِالْجِبَالِ ، فَإِنَّ الْجِبَالَ تَفْخَرُ عَلَى الأَرْضِ " ، هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخَرِّجَاه.

فهذه الأولية في القلم، أولية مخصوصة بالنسبة للمخلوقات بعد العرش، والله – سبحانه وتعالى– مستوٍ على عرشه، استواء يليق بعظمته وجلاله...

في سبع آيٍ من القرآن صرّح ۞۞۞ باستوى على العرش ربي فهو منفرد
وفي السماء اتلها في الملك واضحة ۞۞۞ ولم حديث به يعلو السند

الى آخر ما قاله –رحمه الله تعالى–، فالشاهد استواؤه– جل وعلا– على الوجه الذي يليق بـه – سبحانه وتعالى– ثم استوى على العرش، ﴿ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ ﴾ ، يعني يغطـي هـذا بهـذا ﴿يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا﴾ الأعراف: ٥٤ الليل يطلب النهار حثيثًا خلفهُ فيتبعهُ ويُغطِّيهُ، فيهربُ ويحل محله فيُغطيه بعـد أن كان، فالليل فيه ستر وتغطية، والنهار فيه كشفٌ وإيضاح وتجلية.

ولهذا الذي في الليل مستور والذي في النهار منشور،يقول الشاعر مع من يُحب:

أزورهم وسواد الليل يشفعُ لي ۞۞۞ وأنثني وضياءُ الصبح يُغري بي

فالصبح يفضح، كل شيء مكشوف وأما الليل فيستر، فالليل يطلب النَّهار حثيثًا يسوقهُ ويحلُّ محلَّه مُسرعٌ خلفه،

﴿وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓۗ﴾ الأعراف: ٥٤ –سبحانه وتعالى–،سخَّرها الله فأمرها هذه تجري في فلكها وهذه في فلكها والقمرُ في فلكها والشمس في فلكه لا يصطدم هذا بهـذا، كـلٌّ في فلكٍ يسبحون بأمره –سبحانه وتعالى–.

ثم قال- جلَّ وعلا-: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ الأعراف: ٥٤ الخلقُ خلقهُ والأمرُ أمرهُ، لـمَّا لم يشركهُ أحدٌ في الخلق وجب أن لا يُشاركه أحدٌ في الأمر، فوجب أن نعبده وحده لا شريك له وأن نُطيعه الطَّاعة المُطلقة- سبحانه وتعالى-، هذا هو الواجب على كلِّ مسلمٍ ومسلمة أن يتعلمه وأن يتعلم معنى الرَّب، فالرَّبُّ هو المعبود.

قال -جلَّ وعلا- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ البقرة: ٢١ فهو المعبود -سبحانه وتعالى-، فالرب هو المعبود الذي يتفرد- سبحانه- بعبادة الخلق له،لم ؟ لأنه تفرَّد- سبحانه- بإيجاد الخلق وحده، فلما كان المتفرد بالإيجاد وجب أن يكون الـمُفرد بالعبادة، ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ﴾ النحل: ١٧ لا والله،أنت تعبدُ من لايخلق تعبدُ مخلوقًا! ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ﴾ الأعراف: ١٩٤ ما فيه، لا شيء، لا يمكن أن يستجيب، هو لو أراد أن يرفع الضُّر عن نفسه ما قدر، فكيف يرفعه عن غيره؟!

لا يملكون هؤلاء من قطمير، فإذا كان الأمرُ كذلك فايئَس واقطع الرجاء الذي في قلبك بهؤلاء المعبودين من دون الله- تبارك وتعالى-.

ولذلك قال -جلَّ وعلا- ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾ البقرة: ٢١ أي تتقون سخطه عليكم وعذابه لكم في الدُّنيا وأليم العقاب في الآخرة،﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا﴾ البقرة: ٢٢ الآن يمنَّ علينا لنعتبر نحن ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا﴾ البقرة: ٢٢ هذا من مِنَّته سبحانه جعلها صالحة للسُكَّنى

فالفراش صالحٌ للنوم عليه تستريح،فجعل الأرض فراشًا والسماء بناءً سقفٌ محفوظ لا يطيح عليك،ولكنَّ كثيرًا من الناس عن آياتها مُعرضون نسأل الله العافية والسلامة.

﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ البقرة: ٢٢ جعل لك دارًا وقرارًا وسقفًا وغطاءً ثم أنزل من السماء هذه ماءً فأخرج به من الثمرات لك من الرزق ما لا يُعدُّ ولا يُحصى،فإذا كانت هذه نعم هذا الرَّب أفيجوز أن يُعبد معه أحد ؟!! لا يجوز،لا يجوز لا نقلًا ولا عقلًا أن يُعبد معه أحد ممن لم يفعل عُشر،عُشر،عُشر،عُشر هذا المعشار، فوجب أن يكون هو المُفرد -سبحانه وتعالى- بالعبادة، ولذلك نقل المُصنِّف -رحمه الله - كلام الحافظ ابن كثير -رحمه الله- أنه قال: **"الخالق لهذه الأشياء هو المستحق للعبادة"**،فلا يستحقُّها معه أحد ممن لا يرزق ولا يخلق ولا يُربِّيك بالنعم ولا يغذوك بها ولا يُجنبك النِّقم، فلما كان هو الفاعل لهذه الأمور وجب أن يكون هو المعبود وحده لا شريك له.

المتن:

قال المؤلف –رحمه الله تعالى - : وَأَنْوَاعُ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَا مِثْلُ: الإِسْلامِ، وَالإِيمَانِ، وَالإِحْسَانِ،

الشرح:

هذه الكليات الثلاثة،هذه هي الكُليات الثلاثة هذا هو الدين كلهُ الإسلام والإيمان والإحسان، فأما الإسلام، فهو الاستسلام لله والانقياد له بالطاعة والخلوص من الشرك،

﴿ ۞ وَمَن يُسۡلِمۡ وَجۡهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ٢٢ ﴾ لقمان: ٢٢ ﴿ وَمَن يُسۡلِمۡ وَجۡهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ ﴾ لقمان: ٢٢ يعني عاملٌ للحسن وللصالح ﴿ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ٢٢ ﴾ لقمان: ٢٢،

فالإسلام هو الاستسلام لله والانقياد له بالطاعة والخلوص له من الشرك،هذا هو الإسلام، وأركانه الخمسة ؛ ((شهادة أن لا إله إلا الله وأنَّ محمدًا رسول الله- صلى الله عليه وسلم-، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحجَّ بيت الله الحرام من استطاع إليه سبيلًا)) هذه أركان الإسلام الخمسة الظَّاهرة التي هي أعمالُ الجوارح، شهادة أن لا إله إلا الله قول،قول اللسان يُسمع،وكذا شهادة أنَّ محمدًا رسول الله،إقامة الصلاة عمل الجوارح،الزكاة كذلك عمل الجوارح،صوم رمضان كذلك عمل للجوارح،الحجَّ إلى بيت الله الحرام عمل أيضًا بالجوارح ظاهر اجتمعت فيه العبادة البدنية والعبادةُ المالية هذا كُلٌّ يراه رؤيةُ العيان،أعمال ظاهرة.

الإيمان أعمالٌ خفيَّة قلبية «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ» - تبارك وتعالى- هذه كُلُّها أعمال القلوب هذا هو الدين، فإذا ذُكر الإسلامُ مُنفردًا شمل الإسلام والإيمان، يُفسر بالإسلام ويُفسر بالإيمان، وإذا ذُكر الإيمانُ مُنفردًا شمل الإيمان والإسلام يُفسر بالأعمال الباطنة القلبية وبالأعمال الظَّاهرة، وإذا اجتمعا افترقا؛ صار لكل واحدٍ منهما تفسيرًا خاصًّا به كما جاء في حديث جبريل المشهور.

والدِّينُ قَوْلٌ بِقَلْبٍ واللِّسَانِ ۞۞۞ وأَعمَالٌ بِقَلْبٍ وَبالأَرْكَانِ مُعْتَمِرُ
تَزْدَادُ بالذِّكْرِ وَالطَّاعَاتِ ثُمَّ لَهُ ۞۞۞ بالذَّنْبِ وَالغَفْلَةِ النُّقْصَانُ مُطَّرِدُ

وَأَهْلُهُ فِيهِ مَفْضُولٌ وَفَاضِلُهُ ۞۞۞ مِنْهُمْ ظَلُومٌ وَسَبَّاقٌ وَمُقْتَصِرُ
وَهَاكَ مَا سَأَلَ الرُّوحُ الْأَمِينُ رَسُولَ اللهِ ۞۞۞ عَنْ شَرْحِهِ وَالصَّحْبُ قَدْ شَهِدُوا
فَكَانَ ذَاكَ الْجَوَابُ الدِّينَ أَجْمَعَهُ ۞۞۞ فَافْهَمْهُ عِقْدًا صَفَا مَا شَابَهُ عَقَرُ

ما فيه تعقيد، فالإسلام، الإيمان والإحسان، فإذا ذُكر الدين مُفردًا شمل، ذُكر الإسلام مُفردًا شمل، ذُكر الإيمان مُفردًا شمل إذا اجتمعت افترق كُلُ واحدٍ منهما بمعنى.

فالإسلام هو الأعمالُ الظَّاهرة، والإيمان هو الأعمالُ القلبية الباطنة الستة أركانه الستة وهذا أركانه الخمسة.

وأما الإحسانُ هو أن تعبد الله كأنك تراه،وهذا حال المحب لله- جلَّ وعلا- الطائع،هذا حالُ الرسل- صلوات الله وسلامه عليهم-، وهذا حال الخُلَّص من عباد الله- جلَّ وعلا-، الصفوة من عباد الله- جلَّ وعلا-،فأصفى هؤلاء الصفوة أهل العلم بالله وبشرعه ودينه وبأنبيائه ورسله- صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين-، فإنهم هم أعلم الناس وأخوف الناس من الله- جلَّ وعلا- .

﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ فاطر: ٢٨ وكلما كان المرءُ بالله أعرف كان منه أخوف،فالإحسان أن تعبد الله كأنك تراه،فإن لم تكن تراه فإنه يراك،هذه الرُّتبة الثانية.

بعض العلماء يقول الإحسان مرتبة واحدة،وصدق أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك،ولكن لو أردت أن تُفصل جعلت المرتبتين إحداهما أعلى من الأخرى،فمن عبد الله تعظيمًا وإجلالًا ومحبةً أعظم ممن لا يعبده إلا خوفًا وخشيةً.

وذلك لأن الأول كمال الحبُّ في قلبه جعله يُراقبُ محبوبهُ دائمًا وأبدًا فلا يُحبُّ أن يراه إلا سامعًا مُطيعًا له -سبحانه وتعالى- على أحسن الحالات،

الثاني نعم يعرف ذلك لكنَّه دون يخاف أن يراه، المحبة فيها شيء خفيف من النَّقص وغلب جانب الخوف فهو بمنزلة ذلك العبد الذي يخاف أن يطَّلع عليه سيده في شيءٍ من القصور والعصيان ولا شك أنَّ الإحسان أعلى المراتب وأضيقُها، فأوسع الدَّوائر الإسلام ثم تليها الإيمان ثم تليها الإحسان،وهو أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك،ومعنى ذلك أنك مُعظِّمٌ له- تبارك وتعالى- في جميع حالاتك،لا يراك إلا عاملًا بأوامره مُجتنبًا نواهيه،عاملًا بأركان الإسلام قائمًا بأركان الإيمان فوصلت إلى الإحسان هذه المرتبة الرفيعة.

المتن:

وَمِنْهُ: الدُّعَاءُ، وَالْخَوْفُ، وَالرَّجَاءُ، وَالتَّوَكُّلُ، وَالرَّغْبَةُ، وَالرَّهْبَةُ، وَالْخُشُوعُ، وَالْخَشْيَةُ، وَالإِنَابَةُ، وَالاسْتِعَانَةُ، وَالاسْتِعَاذَةُ، وَالاسْتِغَاثَةُ، وَالذَّبْحُ، وَالنَّذْرُ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَا كُلُّهَا للهِ تَعَالَى، وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ الجن: ١٨ فَمَنْ صَرَفَ مِنْهَا شَيْئًا لِغَيْرِ اللهِ؛ فَهُوَ مُشْرِكٌ كَافِرٌ؛

الشرح:

من أنواع العبادة التي أمر الله بها مثلُ الإسلام والإيمان والإحسان منها أيضًا الدُّعاء، من العبادة هذه التي أمر الله بها الدُّعاء وسيأتي الأدلة عليها جميعًا الدُّعاء والخوف والرجاء والتوكل والرغبة والرهبة والخشية والإنابة والاستعانة والاستعاذةُ والاستغاثة والذبح والنذر وغير ذلك، هذه كُلُّها من أنواع العبادة لا يجوز أن تُصرف لغير الله -جلَّ وعلا- ولا يُصرف منها شيءٌ لغير الله -جلَّ وعز-.

والدليل على ذلك ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ الجن: ١٨ لأن هذا كله عبادة فالدُّعاء عبادة والخوف عبادة قلبية والرجاء عبادة قلبية، والتوكل عبادة قلبية، والرغبة عبادة قلبية والرهبة عبادة قلبية، والخشوع عبادة قلبية، والخشية عبادة قلبية، والإنابة عبادة قلبية، والاستعانة كذلك عبادة قلبية كلها في القلب وتظهر آثارُها على الجوارح، وهكذا الاستغاثة والاستعاذة قلبية تقوم في القلب فيظهر أثرها على الجوارح فلا يجوز أن يُصرف منها شيءٌ لغير الله- تبارك وتعالى-، فالذبح عبادةٌ ظاهرة من عمل الجوارح وهكذا النذر كذلك عبادةٌ ظاهرة من أعمال الجوارح هذه كلها من أنواع العبادة، فلا يجوز أن يُصرف منها شيء فلا تنذر إلا لله -

جلَّ وعلا-،ولا تذبح إلا لله -جلَّ وعلا- ولا تستغِث إلا بالله -جلَّ وعلا-، ولا تستعن إلا بالله -جلَّ وعلا-، ولا تُنِبْ إلا لله -جلَّ وعلا- ولا تخشَ إلا الله -جلَّ وعلا- ولا تخشعْ إلا لله -جلَّ وعلا- ولا ترهبْ إلا الله -سبحانه وتعالى- ولا ترغبْ إلا إليه- جلَّ وعلا-،ولا تتوكلْ إلا عليه ولا ترجُ إلا إياه ولا تدعُ إلا هو- سبحانه وتعالى-.

طردناها لكم طردًا عكسيًّا،فالشاهد هذه العبادات من صرف منها شيئًا لغير الله فهو مشركٌ كافر،فهو مشرك كافر وسيأتي الأدلة عليها.

المتن:

قال المؤلف –رحمه الله تعالى: وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾ المؤمنون: ١١٧

الشرح:

فسمى الله- سبحانه وتعالى- من دعا غيره كافرًا،هذا هو الشاهد ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾ المؤمنون: ١١٧ ومطلع الآية: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ ﴾ المؤمنون: ١١٧ يعني لا حُجَّة له عليه،ما عنده دليل ولا حُجَّة على أنه يجوز دعاء هذا المدعو، فإنما حسابه عند ربه جزاؤه عند ربه ثم أخبر -جلَّ وعلا- بأنه كافر فقال: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾ المؤمنون: ١١٧ إذًا فمن دعا غير الله فهو مشركٌ كافر.

وكذلك يجبُ على كل مؤمنٍ ومؤمنة أن يُراعي هذا، فلا يدّعو السيد البدوي ولا يدعو الرفاعي ولا يدعو عبد القادر ولا يدعو العيدروس ولا يدعو فلانًا ولا فلانًا، وإنما يدعو الله – جلَّ وعلا– ﴿فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ غافر: ١٤ فسمى الله –سبحانه وتعالى– الدُّعاء دينًا.

﴿فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ غافر: ١٤ فسمى الله –جلَّ وعلا– الدعاء دينًا فمن صرفه لغير الله تدين لغير الله– سبحانه وتعالى– في هذه العبادة،

وإذا تدين لغير الله بهذه العبادة فهو مشركٌ كافر، فيجب عليه أن يُخلص فلا يدعو إلا الله – تبارك وتعالى–.

﴿وَمَن يَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ المؤمنون: ١١٧ سمَّاه إلهًا ﴿وَمَن يَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرۡهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ﴾ المؤمنون: ١١٧ لا حجَّة له به ولا دليل،﴿فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ﴾ المؤمنون: ١١٧ سيلقى الله– جلَّ وعلا– وسيُجازيه، ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ١١٧﴾ المؤمنون: ١١٧ فسماه كافرًا.

المتن:

وَفِي الْحَدِيثِ: «الدُّعَاءُ مخ الْعِبَادَةِ». وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ- تَعَالَى﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ٦٠﴾ غافر: ٦٠

الشرح:

الحديث جاء فيه «الدّعاءُ مُخُّ العِبادة» ؛يعني خالصُها، والحديث في إسناده مقال،والحديث الآخر الصحيح «الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ»هذا أعظم، «الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ» كلها،إذا صليت جاءت العبادة مُشتملة على الدُّعاء، إذا صمت كذلك اشتملت على الدُّعاء، وإذا زكيت كذلك حينما تؤدي هذا وتسأل الله -جلَّ وعلا- أن يتقبل منك اشتمل على الدُّعاء وهكذا إذا حججت كم في الحجِّ من دُعاء،«الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ» مُشتملٌ، الدعاء هو العبادة كلها مُشتملٌ عليها، والأول«الدّعاءُ مُخُّ العِبادة» يعني خالصها.

وعلى كل حال،لا يجوز أن يُدعى إلا الله-جلَّ وعلا-، قال- سبحانه وتعالى-: ﴿ وَمَن يَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرۡهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ١١٧ ﴾ المؤمنون: ١١٧، ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ ﴾ غافر: ٦٠.سيأتينا.

فالدعاءُ هو العبادة وإذا كان كذلك وجب ألا يُصرف إلا لله، ولا يجوز صرفه إلا له -سبحانه وتعالى-، والله- جلَّ وعلا- قد أمرنا بذلك في قوله: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ٦٠ ﴾ غافر: ٦٠،

فسمى الدُّعاء عبادة، وأخبر بأنَّ من صرفه لغيره وأنَّ من تكبر عنه؛ عن دعاء الله فإنه سيدخل جهنم داخرًا، يعني صغيرًا ذليلًا حقيرًا، نسأل الله العافية والسلامة.

المتن:

وَدَلِيلُ الْخَوْفِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ آل عمران: ١٧٥

الشرح:

نعم الخوف عبادة، هذا خوف السر، الخوف خوف السر ـ هو العبادة، ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ آل عمران: ١٧٥

أما الخوف الطبيعي فلا شيء فيه؛ يخاف الإنسان من أسد، يخاف الإنسان من عدوٍ ظالم باطش، يخاف الإنسان من حيَّة ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَى ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَى ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴿٦٩﴾﴾ طه: ٦٧ - ٦٩

فالخوف الطبيعي ليس في هذا الباب، وإنما المراد به هنا خوف السر، يخاف أنَّ الوليَّ الفلاني يُصيبه إذا لم يأتِهِ بالنذر المعتاد كلَّ سنة، يخاف أنَّ الوليَّ الفلاني يُفسد تجارته إذا لم يُقدم له ما اعتاد كلَّ سنة، يخاف أنَّ الوليَّ الفلاني يُشوِّه طفله أو المولود إذا لم يذبح له ثورًا أو عجلًا أو خروفًا كما يفعل كل مرة وهكذا خوف السر، لا يجوز من فعل ذلك فهو مشركٌ كافر، قال -جلَّ وعلا-

﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ آل عمران: ١٧٥

﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ آل عمران: ١٧٥، فالشيطان هو الذي يقذف في قلوب بعض الناس هذا الشعور فالله -جلَّ وعلا- نهانا أن نُطيعه فقال: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ آل عمران: ١٧٥

المتن:

وَدَلِيلُ الرَّجَاءِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ الكهف: ١١٠

الشرح

هذا الدليل دليلٌ واضحٌ صريحٌ في مسألة الرجاء، والرجاء هو تعلق القلب بالمدعو الذي يُرجى منه والـمُعظَّم الذي يُرجى منه، الذي قام بالقلب مقامًا جعل ذلك الإنسان يؤملُ به، فقطع الله ذلك بقوله -سبحانه وتعالى- ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾ الكهف: ١١٠

يعني يوم القيامة فيُثيبه على عبادته الصالحة الخالصة من الشرك ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ الكهف: ١١٠

والصلاح فيه إشارة إلى المتابعة للشرع ولا يُشرك فيه النَّهيُّ عن الشرك، فدلَّ ذلك على أنَّ العمل لا ينتفعُ به صاحبه إلا إذا توفر فيه الإخلاص والمتابعة، فإن الصلاح إشارة إلى المتابعة لأمر الله ورسوله حتى يكون العملُ صالحًا، والشرك النَّهيُّ عنه إشارة إلى الإخلاص، فهذان الرُّكنان أو الشرطان، شرطا قبول الأعمال وشرطا تسميتها بالصالحات، فالعمل إذا تخلله الشرك فهو طالحٌ وفاسد وإذا تخللته بدَّعةٌ فهو فاسدٌ أيضًا، قال -جلَّ وعلا-: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ الملك: ٢.

قال الفُضيل بن عياض:أحسنُ عملًا أخلصه وأصوبه، فالإخلاص هو التوحيد والصواب هو المتابعة للسنة، ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾ الكهف: ١١٠ فيلقى الجزاء الحسن عنده على عمله ﴿فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ١١٠﴾ الكهف: ١١٠

شرط قبول السعي أن يجتمع فيه إصابةٌ وإخلاصٌ معًا،

هذا هو شرطُ قبول الأعمال، شرطُ قبول السعي أن يجتمع فيه إصابةٌ وإخلاصٌ معًا؛ الإخلاص لله والإصابة أن يكون صوابا على كتاب الله ووفق سنة رسول الله- صلى الله عليه وسلم-، «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»

ولعلنا عند هذا نقف وبه نكتفي والله أعلم وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وللاستماع إلى الدروس المباشرة والمسجلة والمزيد من الصوتيات يُرجى زيارة موقع ميراث الأنبياء على الرابط

www.miraath.net

وجزاكم الله خيرا.